اسم الدرس : تفسير سورة الحجرات

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

بإذن الله ﷻ نعود مرة أخرى لمسألة التربية من خلال كتاب الله ﷻ، وأن يكون القرآن هو المصدر الأساسي والرئيسي الذي نتلقى منه القضايا التربوية التي نعيشها في حياتنا.

من الأمور المهمة التي ينبغي التأكيد عليها، والانتباه لها دائما: أن هجر القرآن من المسائل التي نتكلم عنها كثيرًا، ولكن حقيقة نحن من الذين هجروا تطبيق القرآن في حياتنا!!!!!

من الممكن أن تجد أخًا، أو داعية، أو أي أحد يتكلم عن أهمية القرآن في حياة الإنسان، وأهمية أن يستضيء الإنسان بنور القرآن، ولكن إذا سألته: ماذا قدمت لتستضئ بنور القرآن ؟!!...

هل القضية مجرد وِرْد؟!! – هذا لمن حافظ على ورده أصلا!! – هل القضية هي مجرد ورد نقرأه ونتلوه فقط!!، هل هذه هى طريقة تعاملنا مع كتاب الله !!

هل نتعامل مع القرآن على أنه حقائق نزلت لتُطَبق؟؟؛ فبالتالي إذا طبقنا هذه الحقائق نصل إلى المرحلة الفرقانية كما في سورة الفرقان،مرحلة يتضح فيها الحق من الباطل.

فمن خلال تطبيق القرآن، كما جاء في سورة الفرقان.. تكلمت عن القرآن، ثم في آخر السورة جاء الكلام عن عباد الرحمن الذين طبقوا المنهج القرآني؛ فبالتالي انتشر الدين ووصلنا إلى حالة من حالات الفرقان بين الحق والباطل.

اليوم نتكلم عن سورة مليئة بالقضايا الأخلاقية، إنها ((سورة الحجرات))

لكن قبل أن نتكلم عنها، هناك مقدمة هامة، وقضايا ينبغي أن نوضحها ونؤصلها:

❖ **أولا**: القرآن لما نزَل؛ هو ليس مجرد قصص تسرد، ولا حتى لأحكام تفصيلية تشريعية تطبق فقط، ولكن القرآن نزل لأعظم من ذلك، نزل القرآن ليبنيَ أمة، أمة وحضارة تُبنَى بتطبيق هذا القرآن»»»» فعندما تتعامل مع القرآن على أنه منهج نزل لبناء أمة ستجد تعاملاتك قد اختلفت .

عندما ننظر إلى قضايا الأخلاق في القرآن نجد تركيزًا عظيمًا عليها ، فكما أن القرآن وكذلك السنة جاء فيهما الاهتمام بقضايا تفصيلية تشريعية في كثير من الفروع، نجد أيضا فيهما الاهتمام بقضايا((تفصيلية أخلاقية)) ..

فتجد الشريعة تتكلم عن تفاصيل تفاصيل الأخلاق»»»

على سبيل المثال:

- في مجلس العلم لو كان المجلس ضيقًا، ودخل أحد من الناس إلى المجلس؛ كيف نتعامل معه؟؟

تجد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ [المجادلة : 11]

- تجد حتى مشاعرك تجاه إخوانك، تجد القرآن يتكلم عن هذه الأشياء البسيطة الخفية؛ – مجرد مشاعرك وخواطرك، وأفعالك، ونظراتك، وهمساتك تجاه أخيك – تجد لها موضع في الشرع.

إذاً أحبتي في الله؛ قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشرع يأخذ دائرة أوسع مما نتخيل..
فالمعروف يتسع لدرجة أنه يشمل رفع الأذى عن طريق المسلمين، وأنه يؤدي إلى دخول الجنة،
وأن دائرة المنكر تتسع لتشمل هرة عذبتها صاحبتها، فكان هذا سببا في دخولها النارعياذا بالله.

فإذًا تعلق المصير إلى الجنة أو إلى النار بقضايا الأخلاق مسألة عظيمة في الشرع.

هذه أول وقفة !

❖ ثاني وقفة هامة.. نريد أن نقفها مع أنفسنا في قضايا الأخلاق هي:

إن من أصعب عمليات التغيير التي تتم للإنسان هى عملية التغيير الأخلاقي، أصعب عملية يمكن أن يقوم بها إنسان مع نفسه هي عملية التغيير الأخلاقي،قد تكون أصعب من عملية (قلب مفتوح) ، فقد يستطيع الإنسان أن يجاهد شهوة من الشهوات ويتخلص منها في لحظات حاسمة، إنما أن يغير خلق من أخلاقه عملية شاقة جدًا على النفوس، تحتاج إلى معاناة وصبر وجهاد، لذلك نجد في سورة الحجرات أن النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تكرر في السورة – مع أنها ليست بالسورة الطويلة فقط ١٨ آية، حوالي ربع حزب تقريبًا في المصحف أو أقل– ومع ذلك تجد أن لفظ الإيمان ومشتقاته (الإيمان، آمنوا،

المؤمنون، آمنا) تكرر في ال ١٨آية ١٥ مرة، وتجد كثرة النداء للمؤمنين بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي ذلك تبصير وتنبيه للناس بأن التعامل مع الأخلاق هو قضية إيمانية بحتة، ويترتب على ذلك شيئين:

- الأول: أننا نستقي الأخلاق من قضايا الإيمان، لا من العرف والتقاليد والإتيكيت!! ولكن من أين نستقي أخلاقنا؟؟؟»»» من إيماننا وعقيدتنا وشريعتنا.

- الثاني: أنه لن يستطيع الإتيان بهذه الأخلاق إلا من كَمُل إيمانه، وأن النقص في هذه الأخلاق يُعد علامة ظاهرة وترمومتر واضح على نقص الإيمان، وأن الزيادة في هذه الأخلاق، علامة واضحة على زيادة الإيمان.

وهذه مصيبة!! وبقدر ما هي حقيقة، فهي – بالنظر في واقعنا الآن ((مصيبة))

قال النبي ﷺ : << أقربُكم مني مجلسًا يومَ القيامةِ أحسنُكم خُلُقًا >>[1]،

إذًا قضايا الرفعة في الجنة على مقدار ماذا؟؟؟

على مقدار الأخلاق، وهذه قضية هامة..

لذلك لابد أن نعلم أنه لن يستطيع الإتيان بمكارم الأخلاق إلا من كَمُل إيمانه،

القضية قضية إيمانية بحتة.

وقبل أن ندخل في سورة الحجرات، نريد التركيزعلى هذا المعنى:

وهو أن القرآن نزل **ليغير من المجتمع، ومن الناس**، فالذي يقرأ القرآن ولا يتغير، أو لايريد أن يتغير، هو لم ينتفع من القرآن، إذًا فالمسألة صعبة، تحتاج مجاهدة »»»

فعليَّ أن أقرأ لأُنفذ، هذا الأمر أُنفذه، وهذا النهي أبتعد عنه، كما قال تعالى﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر : 18]

إذاً عملية التغيير مطلوبة... أنت مطالب أنك تتغير، مطالب أن تسعى، وتجتهد لتزكية نفسك قال الله ﷻ :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة : 16]

أي لا تظن أنك ستُترك ...

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا﴾... فالقضية أن عليك أن تسعى لتغير نفسك، لكن التغيير النفسي هذا ليس بالأمر الهين، فالنفس وَعِرة »»» ظلماتٌ وأهواءٌ وشهواتٌ، فالتعامل معها تعامل وَعِر جداً!

[1] [عن علي بن أبي طالب:] الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ١١٧٦ • حسن

لكن كيف أتغير؟؟كيف أزكي نفسي ؟؟؟

نتأمل سويا حديثاً في البخاري ومسلم؛ حديث رائع يصور عملية التغيير، يصور النفس البشرية وهى تُبتلى بخلق مُعين ؛فُطرت عليه، ونجد نوعين من الناس : نوع جاهد نفسه وسعى في تغييرها، ونوع أختار أن يظل كما هو:

يقول النبي ﷺ : "مَثَلُ البَخِيلِ والمتَصَدِّقِ"[2] ..إذاً هنا نموذج لمسألة البخل وحب المال...

وهذا شئ فُطِر الإنسان عليه فالنبي ﷺ يضرب نموذج لمسلم حاول أن يتخلص من هذا الخلق البذيء المبَغَّض إلى نفوس الناس (وهو البخل وحب المال وإيثار النفس على الغير)؛ وبين آخر إختار أن يظل كما هو ولا يسعى لتزكية نفسه.

" مَثَلُ البَخِيلِ والمتَصَدِّقِ، كمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عليهما جُبَّتانِ مِن حَدِيدٍ (أي جلبابان من حديد) –وفي رواية چنتان من حديد– قد اضطرت أيديهما الى ثُدَيّهما (أو ثَدْيهما في بعض القراءات) وتراقيهما"

(إذاً منظر رجل عليه جلباب من حديد ،وهذا الجلباب يغطي من ناحية رأسه يغطي يديه والترقوة لمنطقة الثدى فقط يقيده ويمنع حركته .. فالأيدي مقيدة للترقوة حتى منطقة الثدي بهذا الجلباب الحديدي .. هذا هو منظر الرجل)، "فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه (كلما ينفق ويتصدق تتسع الجبة الحديد شيئا فشيئا،فتتحرك يده بعض الشيء، فينفق أكثر فتتسع الجبة أكثر لتسهل حركته أكثر، فينفق أكثر تتسع أكثر، ينفق أكثر تتسع أكثر يتحرك أكثر) كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تُغْشِيَ أناملَه وتَعفوَ أثره (ظلت تتسع وتتسع وتتسع حتى تغطيه كله، الجلباب الحديد أصبح متسعا يغطيه، حتى أصابعه بل أكثر من أصابعه، حتى أنه من اتساعه إذا سار محى آثار مشيه.. هذا مثل المتصدق)

"وجعل البخيل كلما هَمَّ بصدقة قَلُصَتْ (ضاقت عليه بشدة) وأخذت كل حلقة بمكانها (أي ازدادت ضيقاوإحكاما أي بالعامية قفشت عليه)

و في بعض الروايات التي تُنسب للنبي ﷺ وبعضها لأبي هريرة – مرفوعا كان أو موقوفا– فالشاهد أنه يحاول توسيعها، فلا يمكنه كلما همَّ لا يقدر.

"وإذا هم البخيل بصدقة تَقَلَّصت عليه، وانضمت يداه إلى تراقيه، وانقبضت كل حلقة إلى صاحبتها (أي أغلقت عليه بشدة) وفي رواية فسمعت رسول الله ﷺ يقول: "فيَجْهَد (أي يجتهد) أن يوسعها فلا يستطيع" ا.هـ

[الحديث ورد في البخاري ومسلم،وله روايات كثيرة][3]

---

[2] [عن أبي هريرة:] ضَرَبَ رَسولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم-: مَثَلَ البَخِيلِ والمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عليهما جُبَّتانِ مِن حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أيْدِيهما إلى ثُدِيِّهِما وتَراقِيهِما، فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّما تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عنْه، حتَّى تَغْشى أنامِلَهُ وتَعْفُوَ أثَرَهُ، وجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّما هَمَّ بصَدَقَةٍ قَلَصَتْ، وأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بمَكانِها قالَ أبو هُرَيْرَةَ: فأنا رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- يقولُ بإصْبَعِهِ هَكَذا في جَيْبِهِ، فلوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُها ولا تَتَوَسَّعُ تابَعَهُ ابنُ طاوُسٍ، عن أبِيهِ، وأَبُو الزِّنادِ، عَنِ الأعْرَجِ: في الجُبَّتَيْنِ وقالَ حَنْظَلَةُ: سَمِعْتُ طاوُسًا: سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ، يقولُ: جُبَّتانِ وقالَ جَعْفَرُ بنُ حَيّانَ، عَنِ الأعْرَجِ: جُبَّتانِ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٥٧٩٧ • [صحيح]

[3] تم اختيار أحد روايات البخاري في المصدر السابق

ما معنى هذا الحديث ؟؟

شراح الحديث –مثل ابن حجر، والنووي، والقاضي عياض، والخطَّابي هؤلاء أشهر من تكلم فيه– حاولوا تفسيره وأغلب التفسيرات أن هذا مثل معنوي»»» يوضح حالة من يحاول أن يتخلص من صفة البخل.

" مَثَلُ البَخِيلِ والمتَصَدِّقِ، كمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عليهما جُبَّتانِ مِن حَدِيدٍ..." (وكأن فطرة الإنسان المجبولةعلى منع المال والبخل به ؛ كأنها قيد حديدى يكبل يداه، وهذه فطرة فُطِر الإنسان عليها) .

تماما مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[المعارج : 19]، ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : 37]، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : 6]؛ كثيرا ما جاء القرآن بصفات للإنسان فُطِر عليها، وهو مطالب أن يتخلص منها.

فتشبيه النبيﷺ أن هذه الفطرة (البخل) كالحديد الذي يقيده مما يعني شدة ضغط هذه الصفة أو الفطرة على الإنسان، لدرجة كأنها تقيد يديه إلى ترقوته.

ماسبب قصر الجلباب؟؟؟

كأن طول الثوب هو مقدار النفقة الأساسية؛ فكلا البخيل والمتصدق ينفقان نفس المقدار الأساسي...لكن البخيل ينفق في أضيق الحدود، للأساسيات الحياتية ..فطول الثوب إبتداءا؛ هو مقدار الإنفاق الأساسي لكلاهما...

كيف تتخلص من الخلق السيء ؟؟؟

المتصدق يجاهد نفسه، ويحاول ينفق وينفق وينفق، والقيد الحديدي يتسع ويتسع، فكلما خالف هواه وجاهد نفسه اتسع القيد، حتى يصبح الجلباب متسعاً فضفاضاً، وينقلب الحديد من قيد يضره ويضايقه»»» إلى شيء نافع يحميه و يستره.

أما البخيل فالجلباب الحديدي يغطي فقط الجزء العلوي من جسده، وأما عورته فمكشوفة، ويسهل على الناس جدا أن تنتقده...

في حين أن المتصدق الكريم»»» كلما حاول الناس أن تنتقده؛ فلا تستطيع لأنه مُغطى، مستور بالجلباب الحديدي المتسع؛ بل إن كرمه يعفو أثره السيء أينما حل؛ لدرجة أن الكريم أحيانا لو أخطأ أو أساء يلتمس الناس له الأعذار ، وتأَولها أنه لم يتعمد الإساءة!!..

بل أحيانا تنقلب سيئاته حسنات بالتِماس الأعذار له وحسن التأويل لأفعاله؛

وعلى العكس... البخيل عريان أخطاؤه مكشوفة للناس، تتأول الناس أفعاله الحسنة لتخطئته.

فاستطاع الإنسان بمغالبة شهوة المال أن يوسع الجلباب الحديدي، وينقلب هذا الخلق السيء إلى خُلق أفاده ونفعه.

هذا الحديث له معاني رائعة، وهناك أكثر من كتاب تناوله بالتفصيل..
نَخْلص من هذا»»» إلى أن كل خلق سئ هو كالجبة الحديدية المقيدة لك، تمنعك من حسن التعامل مع نفسك، تعيق انطلاقك نحو العمل الصالح وأفعال الخير .

الأخلاق السيئة تحجمك عن فعل الخير للناس ؛تريد أن تخدم هذا وتسامح وتعفو عن ذاك»»» لا تستطيع.
تريد أن تبتسم فى وجه أخيك، تريد أن تعفو عن هفواته فتمنعك الجبة الحديدية من هذا!! تكبلك، تمنع انطلاقك تخنقك نفسيا في تعاملاتك.
لكن كلما جاهدت نفسك؛ كما قال النبي ﷺ "إنما العلمُ بِالتَّعَلُّمِ، وإنَّما الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ"[4]
صيغة التفعل في(بِالتَّحَلُّمِ)فيها مُجاهدة وتَكلُّف واستمرارية»»» عدة مرات، حتى يصبح الخلق الحسن سجية لك.

مثل إنسان ضئيل الجسم بدأ يهتم بطعامه، مع ممارسة الرياضة»»» فاختلف جسمه واكتسب جسده عضلات وتغير شكله.

كذلك التربية النفسية تقابل وتشابه التربية الجسدية.

فأنت تستطيع ؛ بعد أن كنت سريع الغضب،سريع الانفعال، ضيّق الصدر، ترفع صوتك، لاتتحمل »»»يمكنك أن تصل إلى مرحلة من انبساط الأخلاق؛ فيصبح صدرك رحبا للناس فتسعهم»»» ولكن بنوع من المجاهدة.
وكأن ما فُطر الإنسان عليه من أخلاق سيئة هي قيد يُكبله عن الانطلاق في الخيرات، وحسن التعامل مع الناس ..لكن كلما جاهد نفسه، وعارض هواه ونفسه، وآثر الآخرين على هواه»»» ستنبسط الجبة وتتحول إلى فضيلة بعد أن كانت قيداً.

تحدث العلماء عن تفاصيل الحديث، وعن كل كلمة فيه وعن إذا ما كان هذا حال المتصدق والبخيل في الدنيا، أم في الآخرة، أم الاثنين...

لكن الشاهد الذي يمكن التقاطه، واستخلاصه من هذا الحديث :

***أن الانسان كلما استطاع أن يجاهد ويغالب نفسه ستتسع الجبة الحديدية (الفطرة)..
***إذاً أنت تستطيع أن تتغير؛ يمكنك أن تصبح إنساناً جديداً »»» بتتبع أخلاق القرآن.

[4] [عن أبي الدرداء و أبي هريرة:] إنما العلمُ بالتَّعلُّمِ، وإنما الحِلمُ بالتَّحلُّمِ، ومن يتحرَّ الخيرَ يُعطَهْ، ومن يتَّقِ الشرَّ يُوَقَّه
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٢٣٢٨ • حسن

سُئِلت أُمنا عائشة ﵂ عن خُلق النبي ﷺ لم تذكر صفاته العديدة من الكرم والتواضع ...إلخ ؛ بل اكتفت بكلمة جامعة؛ فقالت : "كان خُلُقُه القُرآنَ"[5].

فمن أراد كتابا ليتخلق بأخلاقه ..فعليه بالقرآن؛
كلما سمع أمرا أو نهيا ينفذه دون موانع.. دون توان.

لِمَ استطاع المتصدق الإنفاق، في حين عجز البخيل؟؟!!.

لأن البخيل كان إنفاقه شيء عارض (نزوة) لا يتابعها بمجاهدة واستمرارية ؛ فكلما هم تراجع وتكاسل وتقهقر.

أما المتصدق فأول حلقة كانت شديدة الصعوبة والثقل على صدره؛ كأنك فعلا تعمل عملية تجميل للنفس لتغييرها لتصبح إنسان مختلف ..

مثلما (مع تقدم الطب) هناك من تقوم بعملية تجميل ؛فتتحول من إمرأة دميمة لملكة جمال.

كذلك الإنسان بتتبعه وتنفيذه لأخلاق القرآن يصبح إنسانا مختلفا تماما»»» لكنها عملية شاقة.

وهنا في (سورة الحجرات) يقول الله ﷻ : ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا (يَدْخُلِ) الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : 14]

الإيمان لم يقتحم قلبك بعد ..

لقد اكتفوا بتغيير جزئي»»»وهو تغيير الجوارح..﴿ أَسْلَمْنَا﴾ الإسلام هنا يُقصد به طاعات الجوارح؛ ولكن لم يصلوا إلى (مرحلة الجهاد) مرحلة ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات : 15] كما جاء في آخر السورة.

فالإنسان أحيانا يكتفي بتغيير جزئي، ويرضى لنفسه بذلك فقط ؛ كالصلاة، وإطلاق اللحية؛ يكتفي بهذا، ويرضى به .. ولكن يجب علينا أن نعلم: أن المسلم سيظل في مَراقي التغيير حتى يلقى الله ﷻ؛ ومن يظن أنه قد اكتفى من نفسه بدرجة معينة من التغيير»»» هوإنسان جاهل كجهل هؤلاء الأعراب (من بني أسد) الذين اكتفوا بمرحلة (أسلمنا)...اكتفوا بأن يقفوا عند هذه المرحلة..

لكن الإنسان عليه بطريقة شبه يومية أن يغير نفسه، ويتابع أخلاقه، ويحاسب نفسه عليها.

[5] [عن عائشة أم المؤمنين:] سُئِلَتْ عائِشةُ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم-، فقالَتْ:كان خُلُقُه القُرآنَ.
شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج المسند ٢٥٨١٣ • صحيح • أخرجه أبو يعلى (٤٨٦٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٥) مطولاً، وأحمد (٢٥٨١٣) واللفظ له

فنزلت هذه السورة؛ سورة الحجرات؛ وهي من أواخر ما أنزل،نزلت في أواخر العهد المدني، ويقال فى السنة التاسعة من الهجرة لتنظيم المجتمع.

وإذا نظرنا إلى موضعها في القرآن : سنجدها في آخر القرآن، قبل حزب المفصّل الذي يبدأ (على خلاف بين المفسرين) من سورة (ق) ...

وحزب المفصل يمتاز بالتفصيل في قضايا الآخرة، وأسلوب سريع، وقصر في الآيات (عدا الجزء الثامن والعشرون ولكن لا يتسع المقام للتفصيل)

وكأن سورة الحجرات هي آخر القرآن التنظيمي للمجتمع ، فبعد أن يستقر المجتمع»»» نجد أن سورة الحجرات جاءت لتهذّب أخلاق المجتمع وتنظمه....

فكَثُر فيها قول »»»»»» (لا)

﴿لا يسخر﴾ ..﴿لايغتب﴾..﴿لاتقدموا﴾..﴿لاتلمزوا﴾..

ونلاحظ أن الحرف(لا) يشبه المقص.

فكأن السورة نزلت لتهذب شجرة الإيمان في المجتمع بمقص (لا)

نلتقط في السورة أكثر من شيء :

- نلاحظ تكرارمسألة الإيمان في السورة ،الإيمان بمشتقاته ورد 15 مرة في السورة.
- نلاحظ أيضا التركيز على مسألة القلوب؛ مع أن الأخلاق هي أخلاق ظاهرة؛ فالأخلاق هي أقوال أو أفعال ظاهرة، لكن تكرر ذكر القلوب ٣مرات في السورة.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات : 3]

﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : 7]

﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : 14]

فالتغيير الأخلاقي يحتاج لتَمَكُّن الإيمان من القلب .. ليس مسألة قرار يُؤخذ ويُنفذ!

يقول أحدهم : سأتغير ..أنا قررت أن أكون أكثر هدوءا، لا أنفعل، لاأرفع صوتي، أن أكون أفضل!!! ثم يجد نفسه مع أول احتكاك بأي أحد، شيئا آخر سوى ماقرر ...

مسألة تغيير الأخلاق تحتاج أن ترفع منسوب إيمانك، أن يتمكن الإيمان من قلبك، عندها ستجد نفسك تتغير.

إذاً التقطنا محورين في السورة حتى الآن :

- المحور الأول : الإيمان
- المحور الثاني: القلوب

نربط بينهما :تَمَكُّن الإيمان من القلوب يؤدي إلى تغيير الأخلاق في المجتمع.

ربط الأخلاق بالإيمان مسألة في غاية الأهمية، ولكن للأسف يحدث بينهما فصل، وهذه مصيبة. سواء كان هذا الفصل بسبب أخطاء المسلمين، أو من أعداء الإسلام .

- تماما كمسألة العلمانية حينما فصلوا الدين عن الدولة –

لذلك يجب أن يُعْلم أن الأخلاق و الإيمان قضية واحدة.

قد يُسَلط الضوء على إنسان على خُلق ولديه تفريط في الصلاة مثلا .. وآخر يصلي ولكنه ليس على خُلق.. ويَدَّعون عدم وجود علاقة بين الأمرين !!!

لا شك أن كلاهما خطأ...﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص : 6] !

والمصيبة أننا أحيانا نؤكد هذا المعنى بأفعالنا ...

ومن يقرأ سورة الحجرات قراءة متدبر متأمل و يسعى أن يطبق الآيات على واقعه الشخصي؛ سيشعر بالخجل الشديد من نفسه .. فالتعامل مع السورة بمقام المتلقي المنفذ تجعل المسلم يرى نفسه بصورة مختلفة، وسيدرك أن المسألة شاقة ..

أيضا نستخلص من السورة أن قضايا الأخلاق لا تهاون فيها حتى مع كبار الصحابة...

كما ورد في البخاري (كاد الخيران أن يهلكا) [6]

وتنزل آيات لا تتهاون في بعض التعاملات ..ايماءا إلى أنه لا تساهل في تطبيق الأخلاق، حتى مع افضل صحابة رسول الله ﷺ.

---

6 [عن عبدالله بن أبي مليكة:] كادَ الخَيِّرانِ أنْ يَهْلِكا أبو بَكْرٍ وعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْهما، رَفَعا أصْواتَهُما عِنْدَ النبيِّ –صلى الله عليه وسلم- حِينَ قَدِمَ عليه رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فأشارَ أحَدُهُما بالأقْرَعِ بنِ حابِسٍ أخِي بَنِي مُجاشِعٍ، وأشارَ الآخَرُ برَجُلٍ آخَرَ - قالَ نافِعٌ لا أحْفَظُ اسْمَهُ - فَقالَ أبو بَكْرٍ لِعُمَرَ: ما أرَدْتَ إلّا خِلافِي، قالَ: ما أرَدْتُ خِلافَكَ فارْتَفَعَتْ أصْواتُهُما في ذلكَ، فأنْزَلَ اللَّهُ: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْواتَكُمْ} الآيَةَ قالَ ابنُ الزُّبَيْرِ: فَما كانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- بَعْدَ هذِهِ الآيَةِ حتّى يَسْتَفْهِمَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذلكَ عن أبِيهِ يَعْنِي أبا بَكْرٍ.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤٨٤٥ • [صحيح]

فموقف يفعله سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر، وترتفع أصواتهما عند النبي ﷺ ينزل فيه قرآن يُتلى،
وهذا ليس بالأمر الهين... إذاً فالموضوع لا تهاون فيه البتة .. تعامل حاسم.
فشخص يبدأ في الالتزام اليوم ويصف نفسه بالإيمان؛ ونرى هذا شيئاً طيباً ...لا ...لا تنازل عن توضيح الخطوط العامة للدين والأخلاق..فالتساهل في مثل هذه الكلمات والأوصاف يؤدي إلى تمييع مفهوم الإيمان عند الناس.
فيوضح القران أن الإيمان ليست مجرد كلمات تقال أو بعض الأعمال الظاهرة تؤدى.

وأيضاً نلاحظ أن السورة كلها كلام :

- ﴿لَا تُقَدِّمُوا ﴾

غالب الآثار الواردة عن السلف أنه يُقصد بها (الكلام) بداية، ثم يأتي بعد الكلام الفعل.
وفي سبب النزول كما جاء في الطبري [7] عن قتادة﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ «««
أنه كان بعض الناس يقترح يقول: لو أُنزل فينا كذا وكذا ، أو لو أَنزل الله كذا لكان كذا ...يقترح على الله!!!

- ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾...((كلام))
- ﴿يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾...((كلام))
- ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾...((كلام))
- ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾... أصل الاقتتال والحديث [8] في البخاري ومسلم كلمة رماها رأس المنافقين عبد الله ابن أبي ابن سلول؛ لما قال للنبيﷺ (لاتغشانا فقد آذانا نتن حمارك)

فاختلف المهاجرين مع الأنصار فأصلح بينهم النبي ﷺ ...((كلام))

- السخرية ((كلام))
- الغيبة((كلام))
- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ .. ((كلام))

فالسورة كلها ((كلام))...تشعر بالضجيج من حولك...

---

[7] تفسير ابن جرير الطبري (310 هـ) – سورة الحجرات – آية (1)

[8] [عن أنس بن مالك:] قِيلَ للنبيِّ –صلى الله عليه وسلم-: لو أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أُبَيٍّ، فانْطَلَقَ إِلَيْهِ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم- ورَكِبَ حِمارًا، فانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ معهُ وهي أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فَلَمَّا أَتاهُ النبيُّ –صلى الله عليه وسلم-، فَقالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، واللَّهِ لَقَدْ آذانِي نَتْنُ حِمارِكَ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ منهمْ: واللَّهِ لَحِمارُ رَسولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِن قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ واحِدٍ منهما أَصْحابُهُ، فَكانَ بيْنَهُما ضَرْبٌ بالجَرِيدِ والأيْدِي والنِّعالِ، فَبَلَغَنا أنَّها أُنْزِلَتْ: {وَإِنْ طائِفَتانِمِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بيْنَهُما} [الحجرات: ٩].
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٢٦٩١ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٢٦٩١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٩)

فتجيء السورة لتقول لهذا: اسكت ..ولذاك: اخفض صوتك ..ولآخر: هذا الكلام لايجوز ...ولآخر: هذا الكلام حرام.

فالسورة جاءت لتنظم كلمات المجتمع، وتعلم الناس قيمة الكلمة..

فكلمة قد تؤذي؛وكلمة قد تؤدي للاقتتال...إلخ

وكما قال النبي ﷺ : "إنَّ الرَّجُلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ ما يرى بها بأسًا يهوِي بها في النّارِ سبعينَ خريفًا" [9]

في روايات "فيبلغ بها من سخط الله إلى يوم القيامة" [10]

وفي روايات 'فتهوي به في الأرض أبعد مابين المشرق والمغرب' روايات مختلفة كلها صحيحة.

فجاءت سورة الحجرات لتنظم كلام المجتمع المسلم وتعلمه قيمة الكلمة .

ولو طبقت على الجانب الإعلامى؛ من برامج وصحف لأسكتتهم جميعا، ولأراحت آذاننا مما يلقى فيها !

- البرامج التي تقترح على الشرع»»»" لا تقدموا بين يدي الله ورسوله"!!!!.توقف ..اسكت!
- البرامج التي تسخر من بعض الدعاة »»»"لا يسخر قوم من قوم ..."!!!!توقف ..اصمت!

فعلا ...تطبيق سورة الحجرات على الجانب الإعلامي سيريحنا كثيرا ..سينقي آذاننا مما يصب فيها من الماء الآسن (وياليته كان ماء)!!!!

بعد هذه المقدمات عن سورة الحجرات...

ماهي الحجرات؟؟؟

كلمة حجرة تعني غرفة.

لِمَ سميت حجرة ؟؟؟

الحِجر ...الأصل اللغوي ل (ح ج ر)..يدل على ((المنع))

"هل فى ذلك قسم لذى حجر". أي لذي عقل؛

[9] [عن أبي هريرة:] - ابن حبان (٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان ٥٧٠٦ • أخرجه في صحيحه

[10] [عن بلال بن الحارث المزني:] إنَّ الرجُلَ لَيتكلَّمُ بِالكَلِمَةِ من رِضوانِ اللهِ تَعالى ما يَظُنَّ أنْ تَبلُغَ ما بَلَغَتْ؛ فيَكتبُ اللهُ له بِها رِضوانَهُ إلى يَومِ القِيامةِ، وإنَّ الرجُلَ لَيتكلمُ بِالكلمةِ من سَخَطِ اللهِ تَعالى ما يَظنُّ أنْ تبلُغَ ما بَلَغَتْ؛ فيُكتُبُ اللهُ عليه بِها سَخَطَهُ إلى يَومِ القِيامَةِ
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ١٦١٩ • صحيح

لكن ما الرابط بين الحِجر والعقل؟؟؟

العقل يحجر الإنسان... وظيفته (منع)الإنسان من الزلل والوقوع فى الخطأ؛

فالعاقل يستطيع أن يمنع نفسه..لذا سُمي العقل حِجرا..

كما ورد عن المصطفىﷺ حين سأل أصحابه "من تعدون الشديد فيكم؟؟" قالوا: الشديد الذي يصرع الناس؛ فرد النبي ﷺ "ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّماالشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[11] أى : الذي يحجر نفسه، ويمنعها هذا هو الشديد... هذا هو القوي.

فالحجرة تمنع عنك الناس؛ الضوء؛...الخ؛ تضع لك حواجز تحميك....

وكأن السورة جاءت لتضع لكل إنسان في المجتمع المسلم حجرة خاصة به، تحميه وتمنع التعدى عليه سواء بالفعل، أو القول، أو الاقتتال، أو حتى بسوء الظن ..

وابتدأت السورة بحجرات مَن؟؟

حجرات النبيﷺ تعليماً للأدب

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾

أي أن تخطى حجرات النبي ﷺ ولو بالصوت»»» ممنوع!

وضعت السورة لكل إنسان ((كيان محترم)) في المجتمع؛ له كيان خاص به؛ لايجوز التعدى عليه، لايجوز لك أن تتكلم عنه.

من نعم الإسلام ،ومن رحمة الله »»» من يتكلم عليك في غيبتك؛ يأخذ الله ﷻ من حسناته فيعطيها لك ..

أي دين احترم الإنسان بهذا القدر !!!

فلكل إنسان حجرة خاصة به تمنع من تجاوزها؛

فكما أنه من الأدب قبل الدخول إلى الحجرة أن يُستئذن من بداخلها؛كذلك في تعاملنا مع بعضنا البعض ..

لا يصح أن تقتحمني؛ليس لك أن تتكلم عليّ؛ فسمعتي محترمة، وغيبتي محترمة.

فالمؤمن محترم محفوظ؛ في حضوره وفي غيبته.

فكأن السورة جاءت لترسم حدودا للمجتمع كقصر عظيم؛ لكل إنسان في المجتمع؛ عظم أو قل ؛ كبر أوصغر ؛رجل أوامرأة؛ شاب أوشيخ أو صغير ؛ لكلٍ حجرته الخاصة به في هذا القصر ..له مكانه المحترم لا يُتعدي عليه.

[11] [عن أبي هريرة:] - البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦١١٤ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩)

لأن القيمة الحقيقية والسعة الحقيقية لحجرة كل إنسان لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى..

قال تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أنت لا تعلم قيمته..فلم تتجاوزه؟!!!أنت لاتدري عن قيمته شيئا!!!

في عُرْف الناس يَسهُل اقتحام حجرة على الطريق مفتوحة قديمة مهدمة ..و لكن يصعب الاقتحام على شخص فى قصر كبير محاط بالحدائق والأسوار الحديدية والكلاب»»» لا أحد يفكر أو يتبادر إلى ذهنه أن يفعل هذا.

هذا المقياس عند الناس (أنه من يسهل الاقتحام عليه فهو مباح)؛ أما المقياس عند الله فيختلف..

تعطى السورة لكل إنسان مكانه فى المجتمع؛ فتبدأ :

أولا مع الله ﷻ ورسوله،

ثم مع المؤمن الفاسق،

ثم مع المؤمن الحاضر،

ثم مع المؤمن الغائب،

ثم في كلماتك حتى مع نفسك، فيما بينك وبين الله ﷻ (حين تدعي لنفسك مقاما كقول: آمنا..أو أنا داعية .. أنا مجاهد.. أنا لدي الخلق الفلاني)

لكل هذا آداب تحكمك حتى مع خاصة نفسك مع الله ﷻ !!!

هذا هو ترتيب السورة، وهذه محاورها الأساسية.

نمر سريعا على مقاطع فيها لنهتدي بها...

تبدأ السورة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

كلمة (التقوى) تكررت كثيرا في السورة.. التقوى أساسها الوقاية»»» أنك تجتنب شيئا ما.

تنبيه : لابد أن تتعامل بحذر مع إخوانك !!

فنرى روعة كلام النبي ﷺ حين نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث؛

كيف كان ختام الحديث، ومالسبب في النهي؟؟

"فإن ذلك (يُحزنه)"[12]

[12] [عن عبدالله بن مسعود:] إذا كُنتُمْ ثَلاثَةً، فلا يَتَناجى اثْنانِ دُونَ صاحِبِهِما، فإنَّ ذلكَ يُحْزِنُهُ.

المؤمن إنسان حساس ذَوَّاق...يحرص على مشاعر أخيه ؛ يفكر ما الذي يمكن أن يضايقه ليتقي فعله أو قوله!!!

وضرب لنا الرسول ﷺ مثلاً حين دخل عليه عثمانﷺ فبعد أن كان متكئاً وضع ثوبه وقام ؛

فتعجبت أمنا عائشة ﷺا لِمَ لَمْ يفعلها حين دخل عليه أبي بكر وعمر؛ فتساءلت؟!!!؛ فأوضح لها ﷺ : "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟"[13]

وفي بعض الروايات "إني خشيت ألا يَبلُغ إليَّ في حاجته" [14]

أي لا يقول كل مافي نفسه بلا حرج.. ظن النبيﷺ أنه بجلسته متكئاً ربما لا يستطيع عثمان ﷺ البوح بكل مايريد؛ بكل ما في نفسه ...فاعتدل

انظر إلى روعة التعامل..وعلو الاخلاق !!! ...هذا هو نبينا صلوات ربي وسلامه عليه.

فالأخلاق جانب عظيم في ديننا؛ لكن للأسف أصبح ((مهمشا))

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق،فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها؛ فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ..

نعود لمقاطع السورة ...

تكرار كلمة التقوى»»» تَنبيه !! لابد أن تتقي ..أن تحذر؛

تماما كما تتعامل مع أرض مليئة بالاشواك، كما عرف العلماء التقوى؛

فكأنك تتعامل مع الناس كما قال النبي ﷺ : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم" [15] (كأنه يسير بين كم كبير من الأشواك ..هذا بكلمة سيئة وهذا بنظرةوهذا ...وهذا ...ولكنه مطالب أن يصبر)

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢١٨٤ • [صحيح]

[13] [عن عائشة أم المؤمنين:] كانَ رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم- مُضْطَجِعًا في بَيْتِي، كاشِفًا عن فَخِذَيْهِ، أَوْ ساقَيْهِ، فاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فأذِنَ له، وَهو على تِلْكَ الحالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فأذِنَ له، وَهو كَذلكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمانُ، فَجَلَسَ رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم- ، وَسَوَّى ثِيابَهُ، قالَ مُحَمَّدٌ: وَلا أَقُولُ ذلكَ في يَومٍ واحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمّا خَرَجَ قالَتْ عائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ له وَلَمْ تُبالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ له وَلَمْ تُبالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيابَكَ فَقالَ: أَلا أَسْتَحِي مِن رَجُلٍ تَسْتَحِي منه المَلَائِكَةُ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٤٠١ • [صحيح]

[14] [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ أبا بَكرٍ استأذَنَ على رَسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم- وهو مُضطَجِعٌ على فِراشِه، لابِسٌ مِرطَ عائِشةَ، فأذِنَ لِأبي بَكرٍ وهو كذلك، فقَضى إليه حاجَتَه، ثم انصرَفَ، فاستأذَنَ عُمَرُ، فأذِنَ له وهو على تلك الحالِ، فقَضى إليه حاجَتَه، ثم انصرَفَ، ثم جاءَ عُثمانُ، ثم استأذَنَ عليه، فجلَسَ، وقال لِعائِشةَ: اجمَعي عليكِ ثيابَكِ. فقضَيتُ إليه حاجَتي، ثم انصرَفتُ. فقالت عائِشةُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لي لم أرَكَ فزِعتَ لِأبي بَكرٍ، وعُمَرَ، كما فزِعتَ لِعُثمانَ؟ فقال رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم-: إنَّ عُثمانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وإنِّي خشيتُ إنْ أذِنتُ له على تلك الحالِ ألَّا يَبلُغَ إليَّ في حاجَتِهِ. قال لَيثٌ: وقال جَماعةُ النَّاسِ: إنَّ رَسولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم- قال لِعائِشةَ:ألَا أستَحْيي ممَّن تَستَحْيي منه المَلائِكةُ؟

شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج المسند ٢٥٢١٦ • إسناده صحيح على شرط مسلم • أخرجه مسلم (٢٤٠٢) بنحوه، وأحمد (٢٥٢١٦) واللفظ له

[15] [عن عبدالله بن عمر:] المؤمنُ الذي يُخالِطُالناسَ ويَصْبِرُ على أَذاهُمْ، خيرٌ مِنَ الذي لا يُخالِطُ الناسَ، ولا يَصْبِرُ على أَذاهُمْ

هذه هي التقوى..

ولنلاحظ أن الله ﷻ قال:﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ولم يقل: اتقوا إخوانكم مثلا ؛ لأنك لاتراه !

أنت تُعامل الله ﷻ؛ أنت تبتغي الأجر منه سبحانه وتعالى..

لذا يُروى عن المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه:" إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ"[16] »»»»» منزلة عالية جدا..نسأل الله من فضله

من يخالط الناس ويصبر على أذاهم؛ أفضل ممن يقوم الليل ويصوم النهار.... لماذا؟؟؟

قال العلماء:لأن الذي يقوم الليل ويصوم النهار إنما يجاهد نفسا واحدة- التي هي نفسه-...

أما الذي يصبر على أذية الناس ويعاملهم بأخلاق حسنة فهو يجاهد نفوسا متعددة (هذا أخلاقه ضيقة ، وهذا عصبي وهذا سريع الغضب، وهذا بخيل، وهذا حساس لأي كلمة، وهذا يتصيد الهفوات، وهذا عنده مشاكل أسرية، وآخر لديه مشاكل مادية ... وفلان عنده مشاكل في العمل....

فهو يتعامل مع الناس بتوابع حياتهم،»»»»و هو مطالب أن يصبر...

هذه هي معالي الأخلاق.

وهذا الحديث يأتي مناسبا لليلة النصف من شعبان؛

فالنبي ﷺ رُوي عنه : "إذا كانت ليلة النصف من شعبان اطَّلع الله على أهل الأرض فغفر لهم إلا لمشرك أو مشاحن" [17]

.... وهذا من عجيب رحمة الإسلام، وعجيب اهتمام الإسلام بالاخلاق؛ أنه جعل أحيانا سوء الخلق مانعا من موانع المغفرة....

وفي رواية "أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا"[18] ، هؤلاء ينتظروا لا يغفر لهما حتى يصلحوا ما بينهما..!!!

وهل رُفِعَت ليلة القدر إلا بسبب المشاحنات والمجادلات!!!

هناك الكثير من الخير يرفع بسبب المشاحنات!!

و تجد الانسان غالبا يلتمس لانتقامه عذرا....

الألباني (١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة ٩٣٩ • إسناده صحيح على شرط الشيخين • أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٥٠٢٢) باختلاف يسير، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) واللفظ له

16 عائشة أم المؤمنين • الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح أبي داود ٤٧٩٨ • صحيح

17 [عن معاذ بن جبل:] يطَّلِعُ اللهُ إلى جميعِ خلقِه ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ، فيَغفِرُ لجميعِ خلْقِه إلا لمشركٍ، أومُشاحِنٍ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترغيب ٢٧٦٧ • حسن صحيح • أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٢)، وابن حبان (٥٦٦٥)، والطبراني (١٠٨/٢٠) (٢١٥) باختلاف يسير.

18 [عن أبي هريرة:] تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَومَ الإثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتّى يَصْطَلِحا. وقالَ قُتَيْبَةُ: إلّا المُهْتَجِرَيْنِ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٥٦٥ • [صحيح]

تنصحه»»» تقول له يا أخي اصبر...

يرد: لقد آذاني في الدين وليس في الدنيا... لأنه إذا قال لك آذاني في الدنيا ستقول له: الدنيا هينة!!....

فهو يبرر لك فيقول أنه آذاه في الدين...

لكي تكون ردةفعلك : لا لا... إلا الدين، عندك حق

والحقيقة ليست كذلك!!!

عندما وقع مسطح ﷺ في عِرْض أمنا عائشة.... أليس هذا دين؟ وهَدْم للدعوة ولعرض النبيﷺ ولأبي بكر؟!!!

وأي هدم للدعوة أعظم من هذا؟!!!

وأي هدم للدين أعظم من أن يقال عن الطاهرة المبرأة أمنا عائشة ﷺ ما قد قيل؟!!!!

ولكن ينزل القرآن ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور : 22]

هذه نقطة مهمة جدا في مسألة الأخلاق»»»

((أن الله ﷻ يعاملك على حسب ما تعامل الناس)) فأنت كأنك تختار كيف يعاملك الله!!!

مثلا أحيانا تنصح أحدا فيقول لك: هذا حقي وأريد أخذه، فتقول له :اعفُ، يقول : لا، أنت تخيرني بين الفضل والعدل وأنا اختار العدل ،أنا غير مطالب بالفضل، فتقول له : الله سيعاملك بالمثل...!!!

هذا قانون مضطرد في كثير من الآيات والأحاديث...

عندما راودتني هذه الفكرة، وبدأت أجمع الآيات والأحاديث؛ كنت أظنها فقط في آية ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور : 22] فالله لم يقل له: اعفُ عن مسطح لأنه شهد بدر؛أو لأنه لم يكن يقصد....لا...

لكن الله طالبه ان ينسى الشخص الذي يتعامل معه، الذي أساء له ....فقط يتذكر : كيف تريد أن يعاملك الله؟؟؟...

إنك إن فكرت في الشخص لذاته لن تعفو عنه، ونحن ماهرين جدا في النقد !!!!

يقول النبي الله ﷺ : "يبصرُ أحدُكمُ القذاةَ فيعينِ أخيهِ وينسى الجذلَ – أوِ الجذعَ– في عينِ نفسِهِ"[19]

فأنت عندما تنظر في عيوب أخيك؛ يُهدي لك الشيطان مُكبر (ميكروسكوب) ؛يستطيع أن يرى أصغر خطأ، ويجعله مئات الأضعاف... وبالأدلة... فأنت إذا وضعته في ذهنك وأردت العفو »»» لن تستطيع!!!!

وتشتعل الذاكرة »»»لقد فعل كذا يوم كذا...

[19] [عن أبي هريرة] - الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الأدب المفرد ٤٦٠ • صحيح موقوف

والذاكرة –ما شاء الله – تتقد ؛ولا تدري من أين تأتي بمواقف من عشرات السنين....!!!

فتتذكر أنه من عشر سنين يوم كذا عصرا فعل كذا...!!! والشيطان يزين لك ويغذي ذاكرتك...!!!

فأنت عندما تتعامل مع الناس تجاهل الشخص تماما؛ وتذكر فقط:
كيف تريد أن يعاملك الله ﷻ ؟!!!

من الأحاديث الرائعة »»»حديث الرجل الذي لم يكن له أعمال صالحة، غير أنه عندما كان يبعث غلمانه ليجمعوا من الناس ديونهم له ، كان يقول للغلمان: ((إن وجدتم معسرا فانظروه))... أي من تجدوه بلا مال »»» اتركوه وتجاوزوا عنه...فقط هذا عمله...!!!

فيأتي يوم القيامة؛ فيُنظر في أعماله الصالحة: فلا يجدوا له عملا صالحا إلا هذا ((إن وجدتم معسرا فانظروه))..... فيقول الله ﷻ : نحن أحق بذلك منك، اذهب فقد تجاوزت عنك.

فانتبه »»» كيف تريد أن يعاملك الله ﷻ؟؟!!

كنت أعتقد أن هذه فكرة عبقرية وجدتها في آية " وليعفوا وليصفحوا"؛ لكن فوجئت بالكثير في السنة ...

"و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [20].....

"من فرَّج عن أخيهِ كُربةً منكُرَبِ الدنيا فرَّج اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ" [21]

وانظر»»»((من فرج عن مؤمن كربة من كرب (الدنيا) فرج الله عنه كربة من كرب (يوم القيامة))

العطاء الإلهي مختلف!! عطاء الله دائما زائد!!

وهذه القصة المعروفة قصة آخر عبد يخرج من النارفيقول الله له: أرضيت بمثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ قال :رضيت، قال: لك مثله وعشرة أمثاله"[22]

---

[20] [عن أبي هريرة:] من نفَّس عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُربِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ١٩٣٠ • صحيح • أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وابن ماجه (٢٢٥)، وأحمد (٧٤٢٧) مطولاً، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠) واللفظ لهما، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٨٥) باختلاف يسير

[21] [عن عبدالله بن عمر:] - السفاريني الحنبلي (١١٨٨ هـ)، شرح كتاب الشهاب ٧٨ • صحيح

[22] [عن المغيرة بن شعبة:] سَأَلَ مُوسى رَبَّهُ، ما أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيْفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ

الله دائما يعطي فوق الرضا سبحانه وتعالى.

﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا ﴾ [ص : 39] عطاء الله سبحانه وتعالى مختلف..

فأنت أثناء معاملتك مع الناس؛ كأنك تختار كيف يعاملك الله ﷻ.

قد تكون المسألة شديدة على نفسك؛ لكن إن أخذتها بهذا التفكير ستجدها سهلة يسيرة ...

هناك حديث(قصر العبد) يوجد كَمٌ من العلماء ضَعَّفَهُ وبعضهم حَسَّنه والشيخ الألباني ممن ضعفه والشيخ محمود المصري ذكره في (كتاب الدار الآخرة)، وذكر أن بعض العلماء القدماء حسنوه.... فهو يُعمَل به في فضائل الأعمال ،لأنه لا يخالف أصل من أصول الشريعة...

الشاهد أنه يأتي يوم القيامة اثنان؛ أحدهما له حق عند الآخر

فيقول: ربي أريد حقي منه، والآخر اذا أُخِذَ منه الحق سيُلقى في النار....

فالله سبحانه وتعالى يقول له: انظر خلفك..

فينظر خلفه فيجد قصور...

فيسأل لمن هذا؟...

فيقول الله عز وجل: هذا لمن عفا...!!!

فكأن الله سبحانه وتعالى يُغريه أن يعفو!!!.... فأنت تجد آثار وآيات وأحاديث كثيرة تغريك "أن تعفو...

كما قال الله عز وجل لسيدنا أبي بكر ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ [النور : 22] فقال: بلى أحب...

نحن خرجنا خارج إطار السورة ولكن لأن المسألة الأساسية والغرض الأساسي من السورة ((أن نتغير))... فتكون قبل سورة الحجرات شخص، وبعدها شخص آخر... من حولك ينبهرون بشخصيتك الجديدة، ويتعجبون ماذا حدث؟؟!!

فتقول لهم هذه»»» سورة الحجرات...

إذاً ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾

هذا كان حول معنى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾،

الأساس أنت تعامل من؟؟؟ ((تعامل الله سبحانه وتعالى))

على قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ [السجدة: ١٧] الآيَةَ. وفي رواية: إنَّ مُوسى عليه السَّلامُ سَألَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ عن أخَسِّ أهْلِ الجَنَّةِ مِنْها حَظًّا، وساقَ الحَدِيثَ بنَحْوِهِ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٨٩ • [صحيح]

إذا أسقطنا المقدمة الأولى من السورة على واقعنا الآن﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

النبي ﷺقد مات؛ نجدها تنطبق حاليا على من يرفع صوته فوق صوت السنة...

والذي يقدم كلامه، واقتراحاته، وآرائه فوق كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ ....

أمثلة :

- نخبره الشرع يقول: الزاني يُرجَم...

يرد: لا ليس إلزاميا!!..

تقول له كيف؟؟!...

يرد: ليس إلزاميا يكفي أن يُعاقَب، والمهم تحقيق المصلحة ... ويأتي بكلام من أفكاره...

- تنصحه الشرع يقول: إن هذا ربامحرم

يقول لك: لا ليس الأمر كذلك ؟؟!!!

يرفع صوته فوق السنة وفوق الشرع!!

فإذا كان رفع صوت سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر أمام النبي ﷺ أثناء تناقشهم في مسألة كانت سببا في نزول هذه الآيات!!!

فكيف بمن تقول له: (قال رسول الله) فيقول : (قُلت) ؟!!!!

العقوبة عظيمة »»»﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وهذا من أشد عوامل الربط – مرة أخرى كما قلنا في المقدمة؛ بين الإيمان والأخلاق؛

إيمانك سيذهب»»» أنت تهدم إيمانك... أنت تحبط أعمالك

بهذا التعامل الخلقي السيء البغيض مع سنة النبي ﷺ؛ أنت تنسف إيمانك نسفا!!، أنت تعترف بأقوالك أنه ليس في قلبك إيمان...

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد : 30] »»» بكلماتك وآرائك أنت تعترف أنك منافق... فالقرآن سَمَّى الناس بأسماء، ونحن نلتزم بمسميات القرآن...

وسنتناول ذلك عند قوله تعالى: ﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ﴾

الشاهد»»»﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

هذه قاعدة: لا يجوز التعامل مع النبي ﷺ ومع سنته؛ كما نتعامل مع أي شخص آخر، وأي كلام آخر ، لا يجوز أن نضع السنة تحت النقد.

أمثلة واقعية:

- في حوار بين أحد المذيعين- يَدَّعي تقديم برامج دينية- وبين أحد الدعاة؛ فإذا بالمذيع يسأله، ويسخر منه فيقول:

إذا عُينت رئيسا للجمهورية،وحان موعد صلاة الظهر هل ستترك العمل، وتذهب للصلاة؟؟

رد الداعية : بالتأكيد.. سأذهب لأصلي الظهر،

المذيع: الظهر يتأخرويطول وقته!! ،

الداعية : وماذا عن صلاة الجماعة!!،

المذيع : من قال بوجوب صلاة الجماعة؟!!!

، فرد عليه الداعية بحديث رسول الله ﷺ " لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاَةِ، فيُؤَذَّنَ لَها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النّاسَ، ثُمَّ أُخالِفَ إلى رِجالٍ، فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ "[23]

، فرد المذيع : لا يمكن أن يكون هذا الحديث صحيحا !!!!

عجبا!!!ما هو الذي لا يمكن أن يكون صحيحا؟؟؟ أأجلس مع الألباني، أم ابن حجر!!!

كلمة (لا يمكن)»»»هذا تعاملنا للأسف مع السنة الآن»»» (لا يمكن)!!!

- في مسجد من المساجد أُذن للمغرب في رمضان، الإخوة يُفطرون على تمر في المسجد، ثم تقام الصلاة ، وأحد المصلين منزعج من فعلهم –هو يريد أن ينتهي سريعا من الصلاة ويذهب ليأكل في بيته –فقال مستغربا : لم تفعلون ذلك؟!!هل فعل النبي ﷺ ذلك؟

قالوا له :نعم، فرد : وهل أنتم مثل النبي ﷺ؟!!!

- أنصح أحد الإخوة »» (اعفُ واصفح)، وأقول له: قال الله لسيدنا أبو بكر (وليعفوا وليصفحوا) ، فرد : وهل أنا سيدنا أبو بكر؟ »»»إذًا نترك القرآن كله فقد نزل على الصحابة!!!

الشاهد: لا يجوز أن نتعامل مع الأحاديث على أنها أقوال تقبل النقد، لأن هذا يؤدي إلى حبوط الأعمال، كما قال الله ﷻ:

﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

[23] [عن أبي هريرة:] أَنَّ رَسولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ، فيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ، فيُؤَذَّنَ لَها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخالِفَ إلى رِجالٍ، فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو يَعْلَمُ أحَدُهُمْ، أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أوْ مِرْماتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشاءَ

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٤ • [صحيح]

لاحظ: هذا كان له أعمال- أي أعمال صالحة-، ونودي بـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾»»» إذًا الموضوع خطير.

من أجمل لطائف السورة أنها:

- *تخاطب شخصًا يقترح بين يدي الله ورسوله،
- *وتكلم شخصًا يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ،
- *وتكلم شخصًا فاسقًا،
- *وتكلم أُناسًا يتشاجرون مع بعضهم البعض حتى مرحلة الاقتتال،
- *وتكلم شخصًا يسخر ويلمز،
- *وآخر يسيء الظن ويغتاب،

ومع ذلك تناديهم »»» ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، ولم تقل يا فساق!

انظر لهذا الاسلوب القرآني الرائع.

لِمَ جاء الخطاب هكذا؟؟؟

أي: أنت مؤمن وهذا يخالف سمو أخلاقك التي أنت عليها... وهذا تنبيه قوي للدعاة لاختيار كلماتهم.

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : 53]، يقول لهم أنتم عباد الله؛ لماذا تكونون من الآبقين؟ ، لماذا تهرب بعيدًا عن الله؟

فأنت تبدأ بخطابهم »»» لقد اخترت ووُفِقْتَ لأن تكون مؤمنًا، لماذا تنقض إيمانك؟ لماذا تترك هذا الصرح العظيم؟ فهذا النداء رائع..

كما أمر الله موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون »»» ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : 44]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ يُقال أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه.

الإنسان حتى يصفو قلبه سيتعرض لامتحانات كثيرة حتى يؤول إلى التقوى، وهذا شيء صعب، وكأن السورة في البداية امتحان ؛ وفي النهاية امتحان:

- في البداية امتحان : أنك حتى تصل لمرحلة الإيمان والتقوى ستمتحن، وسيظهر في المواقف؛ إذا كنت متقيا أم لا؟؟؟
- وفي النهاية امتحان :أنكم قلتم ﴿ آمَنَّا ۖ ﴾ ولكن، الحقيقة تظهر بالامتحانات»»» ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴾وجاءت الصفات التي سنفصلها لاحقا.

فالقضيةفي السورة »»» أخلاقك لن تظهر على حقيقتها بدون إمتحانات.

أنت جالس بمفردك، ولا أحد يضايقك فيُقال: فلان أخلاقه جيدة !!

هل ضايقه أحد حتى تعرف أخلاقه جيدة أم لا ؟

سيدنا عمر سأل عن شخص فقيل له: أخلاقه رائعة،

فسأل: هل سافرت معه؟ قال: لا،

قال: هل تعاملت معه في البيع والشراء؟ قال: لا،

قال: إذًا لا تعرفه!!!

قد تجده يصلي ويبكي،ولكن عندما يشتري ويبيع »»»»»

يعلق الذقن في المتجر، وعندما ينتهي يأخدها، ويقول لك التجارة شيء، والدين شيء آخر!!!!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ،

سنمر سريعًا على السورة حتى لا نطيل.

يجب أن تضع في اعتبارك أن:

قضية الأخلاق لابد فيها من ابتلاءات، وكلما حاولت وربيت نفسك على خُلُق سَتُمتَحَنُ فيه، ستشعر أن الناس تخرج لك من تحت الأرض، حقًا ستشعر أنك تبتلى في كل خطوة من خطواتك،

وهذه رحمة»»»» حتى تتدرب، اليد التي لا تحمل أثقال تصبح ضعيفة، وكلما تحمل اليد أثقال أكثر تقوى أكثر، فالتربية النفسية تماثل التربية الجسدية، فالإنسان الذي يتريض نفسياً، تكون أخلاقه واسعة.

كما قال الرسول ﷺ: " إنكم لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكم ..."[24]

لن تستطيع بأموالك أن تسع جميع الناس، إنما بحسن الخلق تستطيع.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

تكلمنا على الصنف الأول وإسقاطه الواقعي:

الذي يقترح ويجادل ويريد إدخال أفكاره وأفعاله على الشرع.... ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾ وكأن فيه تشبيه بعبد سيء الأدب، يسير أمام مولاه، والطبيعي أن يمشي خلفه، وينظر ويتلمس أي إشارة من سيده فيُسرع ليطبق، لكن هذا عبد سيء الأدب–ولله المثل الأعلى–، وتوضيح هذا الصنف مفصل في كتب التفسير.

[24] [عن أبي هريرة:] إنكم لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكم، ولكن يَسَعهم منكم بَسْطُ الوجهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ.
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترغيب ٢٦٦١ • حسن لغيره

الصنف الثاني:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

هذا الصنف هم أناس جاءوا للنبيﷺ وفي بعض الروايات[25] يقال: أن وفد من بني تميم – جاءوا ونادوا على النبي ﷺ حتى يخرج لهم، فقال أحدهم : ((إن مدحي زين وإن ذمي شين))

، فكأنه يقول له ألا تعرف من أنا؟!!!

أنا إذا مدحتك فالناس كلها ستمدحك، وإذا ذممتك فالناس كلها ستذمك،

لسان حاله: عندما آتي تخرج لي، يريد أن((يأخذ وضعه))، مثل الذي يقول: أنا إذا كتبت في الصفحة الأولى عندي في الجريدة أنك كذا، يمكنني أن أُضيعك!!!

فرد النبي ﷺ: ((ذاك الله))

أي أن الذي مدحه زين وذمه شين؛ هو الله سبحانه وتعالى.

فهذه طائفة عندما تفكر في الإلتزام؛ أو في بداية التزامه يتعامل مع الدعاة أو المشايخ كما اعتاد أن يُسيّر أموره، اعتاد أن يتعامل بطريقة »««

مَن هذا؟؟

تقول له: الشيخ فلان ...

يرد كم يريد من مال كي نأتي به؟؟{كما تعود في تعاملاته الدنيوية}

يُنصح»»»هناك آداب لابد أن تراعيها مثل: أن تجلس في صمت ..فيكون رده: لِمَ أجلس؟؟... من هذا لأجلس له!!!! »««

لسان حاله التسفيه من قدره!!!

تقول : هذا شخص نذر نفسه لخدمة دين الله جل وعلا ..هذارفع الله قدره؛ كما قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ﴾ [المجادلة : 11]

فأهل العلم مرفوعون..لا يقتنع !!!

.

أما من يسير على هدى النبي ﷺ ويسمع قول الله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ »««

لابد أن تصبر في التعامل مع أهل العلم ..

---

[25] [عن البراء بن عازب:] في قولِهِ تعالى: إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ قالَ: فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ حمدي زينٌ وإنَّ ذمّي شينٌ، فقالَ النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم-: ذاكَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ٣٢٦٧ • صحيح • أخرجه الترمذي (٣٢٦٧) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥١٥)، وأحمد (١٥٩٩١)

لا يصح أن تتعامل بطريقة المتعجل المسفه فتقول لِمَ لا يخرج إلي؟! ..لِمَ انتظر؟! ..مالذي يشغله عني؟! ..أنا أولى!! ..أنا أهم!!!

هذه الطريقه تجدها حتى فى نفوس كثير من الملتزمين تجاه الدعاة...تجده يتهمهم!!!

لِمَ لَمْ يوليني اهتماما خاصا عند السلام ؟؟!!

«««« هويسلم على أناس كثر فلتراعِ هذا!

يرد: لا لا ...عليه أن يتحمل!! طالما وُضِع في هذه المكانة فليتحمل!!!

لاتقع عينه الا على السوء »»»»تركت الدرس والصلاة، وتُعلق فقط على هذه الأمور..(ماأفطنكم للشر)!

كما رُوي في صحيح الأدب المفرد و صححه الشيخ الالبانى: أتي أناس من أهل العراق لزيارة ابن عمر ﷺ فخرج لهم أحد خُدام ابن عمر-لم تفسر الروايات إن كان مسلما أو كافرا- وكان يلبس شيئاً من الذهب؛ فلما رأوه نظروا إلي بعضهم (لسان حالهم كيف يتركه يلبس ذهبا؟؟)

فقال لهم ابن عمر: ماأفطنكم للشر!!! [26]

الإنسان الذي تقع عينه على هذا (فقط)»»»» هذه مشكلة... وليست المسألة مثلا حسن إيمان...كلا..هذايكون على خطر..

المؤمن كالنحلة لا يقع إلا على طيب وعندما يقع علي شئ لايكسره.

فالشاهد: هذا صنف من الناس﴿ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾

فكلمة "وراءالحجرات" تعني: وجود مراتب لابد أن يتخطاها، وهولايعجبه، ولا يرضيه هذا، فيغضب ويقارن نفسه بالآخرين ؛ يريد أن يتخطي المراتب بالتزامه ..هذا شيء خطير »»»»

هذا هو الصنف الثانى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

يتكرر النداء عند كل خلق يُناقض الإيمان، وعند كل أساس، وعند كل عمود لابد أن يُوضع في بناء الإيمان فى الأمة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[26] [عن نافع مولى ابن عمر:] أنَّ نفرًا من أهلِ العِراقِ دخلُوا على ابنِ عمرٍ، فرأَوا على خادِمٍ لهم طَوقًا من ذهبٍ، فنظَرَ بعضُهم إلى بَعضٍ ! فقالَ: ما أفطنُكُم للشَّرِّ ؟

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الأدب المفرد ٩٨١ • إسناده صحيح

يأتي التنبيه على هذا الخلق (التثبت قبل القول أو النقل) مباشرة بعد ذكر خُلق الأدب مع ﷺ ليشير إلى أن هذا الخلق عظيم، و خطورته عظيمة.

وهذه المسألة أصبحت منتشرة في واقعنا انتشار غير عادى!!!

فتجد كلمة تنتشر في الآفاق، ثم بعد ما تنتشر في الآفاق..تسأل من قالها؟؟ ما مصدر هذا الكلام؟؟ يقول: الناس!!! من هؤلاء الناس؟!! أعطني سند...!!!

رَوى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه أن رسول الله ﷺ قال:"كفى بالمرء كذبا أن يُحدث بكل ما سمع" [27] .. يعنى لابد أنك ستسقط في الكذب؛ حتما ستقع في الكذب!

وروي أيضا في مقدمة صحيحه عن عبد الرحمن بن مهدي قال "لا يكون الرجل إماما حتى يُمسك عن بعض ما سمع"

هذا يعني أن الانسان الذي ينقل كل شئ سمعه؛ لن ينال مرتبة في الدين!

فتجده بعد ما يجلس في أي مجلس يقول : (رأيت فلانا كان يقول كذا... سمعت كذا ...إنهم يقولون كذا ...إلخ) تلاحظ أنه يستعمل كلمة (يقولوا) كثيراً دون أن يعرف فاعلها أو مصدرها.

فالكلمات المتطايرة في الهواء قد يُظن أنه لا بأس بها، أو لا إشكال فيها... لكنها حقيقة قد تؤدي كما ذكرت الآية التي أعقبتها ((((للإقتتال))))

قال تعالي: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

سبب نزول الآية[28] – كما روي جمهور المفسرين– أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي و كان سيد بنى المصطلق [[بني المصطلق كانوا قد أسلمو، وجاءو إلى النبي ﷺ ووعدهم أن يُرسل لهم من يأخذ زكاة أموالهم على رأس الحول]]، فرجع بنو المصطلق إلى ديارهم،ولما جاء الموعد أرسل إليهم النبي ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليستلم الزكاة ...

فالحارث من حبه للنبى ﷺ جمع قومه كلهم و انتظروا رسولَ رسولِ الله على مشارف مدينتهم، و معهم زكاة أموالهم .

فالوليد رآهم على بعد((فظن)) أنهم قد اجتمعوا ليقتلوه، فعاد مسرعا إلي النبي ﷺ قائلا: (لقد منعوني زكاة أموالهم، وكادوا أن يقتلونني)

في ذلك الحين»»» استبطأ سيدهم الحارث رسولَ رسولِ الله وقال لقومه : ما عهدت على رسول الله ﷺ أن يخلف وعده، ولا أرى ذلك إلا أنه سخطٌ من الله علينا (يعنى.. لفعل فعلناه غضب الله علينا) وأخذ المال هو وقبيلته، وذهبوا إلي النبى ﷺ وكان قد هَمَّ أن يقاتلهم لمنعهم الزكاة .

---

[27] [عن أبي هريرة:] - مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم [المقدمة] ٥ • [أورده مسلم في مقدمة الصحيح]

[28] تفسير ابن كثير - [سورة الحجرات : الآية 6] (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ)

فلما جاء أخبره النبي ﷺ بماقاله الوليد [لقد منعوني زكاة أموالهم، وكادوا أن يقتلونني]
فقال الحارث: والله ما حدث ولقد كذب الوليد !!!

فلا بد عندما يأتي أحد إليك بنبأ لابد أن تتبين وتتثبت من الكلام
كما جاء فى قراءة متواترة﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَثبتوا﴾ أي تأكدوا ويكون هناك أدلة على صحة الكلام؛ فعندما تنشر كلام أو تنقل أى كلام لابد لك أن تتأكد.

يحكي لنا الشيخ مصطفى العدوي: أنه كان فى الحرم وفجأة سمع ناس تقول: الله أكبر.. الله أكبر..
فالرجل الذي بجواره قال أيضا:الله أكبر..
فسأله مالذي حدث؟؟ فرد: شارون مات !!،
فسأله من قال هذا ؟؟
بعد قليل جاء خبر أن شارون لم يمت!!
فالشيخ قال لجاره: أنت قلت أن شارون مات!!
فرد الرجل : الناس قالت... فأنا قلت!!! فقال الشيخ : هاهو لم يمت !!؛وقد نشرت الخبر بين الناس!!!. (يريد نصحه بالتثبت قبل نشر الخبر)
إذاً لا بدّ من التثبت؛ فقد يؤدي خبر غير صحيح- كما فى الآية- للاقتتال.

حين ذكر ربنا ﷻ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾. وذكر ﷻ ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾كل هذا أحيانا على عظم هذه الجرائم؛ قدلا تؤدى للاقتتال إنما تؤدي إلى قطيعة ومشاكل.
إنما اقتتال طوائف فيما بينهم تحدث بسبب طيور الظلام التى تطير بكلمات ما أنزل الله بها من سلطان، من هنا يتبين خطورة هذا الخُلق وأن الكلمه فى المجتمع الاسلامى لها قيمتها.
قال الله ﷻ عن صفات المنافقين ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ﴾
والأمه الإسلاميه تمتاز من بين كل الأمم بالسند...
قال ابن المبارك : (لولا الإسناد -أي : لولا أنك تقول لي من الذي قال لك هذا الكلام- لقال من شاء ما شاء)
أي أن أي شخص يأتي يبلغ، ويقول أي كلام ...
لكن إذا علم أنه سيُسأل عمن بلغه هذا الكلام، أو ممن سمعه لن يتحدث دون علم.
شخص يقول لك مثلا الشافعية قالوا: إن النقاب حرام
..تمام ...هو يريد أن يقول هذا الكلام فليقل ...ولكن نسأله:أين سندك لهذا الكلام ؟؟

إذا خرج علينا مثلا أحد الناس ليقول: النقاب عادة ليس عبادة...تمام ...لكن أين دليلك ؟؟

الآن النت فضح كثيرا الناس، بالدخول على أي موقع بحثي والسؤال عن : ماهو حكم النقاب عند الأئمة الأربعة؟؟

وانظر ماهي نتائج البحث؟!!

فأصبح الأمر مفضوحا، ادخل في أي وقت، افتح أي كتاب فقه، المكاتب موجودة؛ افتح أي كتاب فقه في أي مكان، وابحث ما حكم النقاب؟ أو الختان؟ فأنت عندما تتحدث بكلام لابد أن تأتي لنا بسنده ودليله...

فعدم التثبت هذا من الأخلاق التي تؤدي إلى اقتتال المسلمين وانهيار المجتمع.

وقفات سريعة مع سورة الحجرات:

توقفنا عند قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾وقلنا: إن ورود قول الله ﷻ ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ بعد قوله تعالى ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ يوضح ويشير إلى: أنه أصل أصيل، وسبب مهم من الأسباب التي تسبب الاقتتال بين المسلمين؛ مسألة نقل الكلام بلا تثبت، وللأسف هذا منتشر جدا بيننا، ويحتاج إلى وقفة قوية من المجتمع كله.

ونزول القرآن ليس بالشئ الهين، أن يتكلم الله ﷻ بهذه الآيات، وينزل بها جبريل عليه السلام على قلب النبي ﷺ ليكون قرآنا يتلي، ليس شيئاً هيناً...

فليس هيناً أن ينزل قرآناً بالأمر في منع نقل الكلام دون تثبت ،إذاً الأمر عظيم، والتوابع عظيمة، على هذه المسألة؛ لأنه قد يؤدي أحيانا بدون ما يشعر الإنسان إلى الاقتتال بين المسلمين .

الحادثة التي هي في سبب النزول أن الوليد بن عقبة لما رجع إلى النبي ﷺ وقال له: منعوني الزكاة، وأرادوا قتلي، لم يكن يقصد أن تكون فتنة وقتال، لكن أحيانا عدم التثبت من الكلام قد يؤدي فعلا إلى الاقتتال.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ وهذا يوضح موقف المؤمن؛ يجب ألا يكون سلبيا، إذا رأى اثنين يقتتلون؛ قد يقول هذا ليس من شأني!! لِمَ أُدخل نفسي بينهما كما في المثل المصري ....((الداخل بين البصلة وقشرتها ...)) مثل هذا يثبط الإنسان!

»» لا »» المؤمن لا يقف أبدا موقف سلبي؛ ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ لابد للمؤمن دائما أن يبحث عن سد الثغورالتي بين المؤمنين ...

كما قال النبي ﷺ : "من وصل صفاً وصله الله"[29] وإن كان الحديث محمول على صف الصلاة، ولكن عمومه أولى، وخاصة في العلاقات بين المؤمنين، فالمسألة أنك إذا رأيت ثغرة في صف المسلمين، يجب عليك أن تسدها.

وفي زيادة –صححها الشيخ الألباني– قال النبي ﷺ : "ومن قطع صفاً قطعه الله"

---

[29] [عن عبدالله بن عمر:] من وصل صفًّا وصلَه اللهُ، ومن قطع صفًّا قطعَه اللهُ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترغيب ٥٠٣ • صحيح • أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وأحمد (٥٧٢٤) مطولاً، والنسائي (٨١٩)

فكونك تتسبب في هدم، أو في فتح ثغرة من الثغور بين المسلمين، يُعاقب الإنسان بجنس ما فعل.

فالمسلم لا يقف أبدا موقف سلبي، أنه يرى مؤمنين يقتتلوا فيقول هذا ليس من شأني!!!

لا»»»» ﴿فَأَصْلِحُوا﴾

هذا أمر ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ فأنت تحاول تُصلح؛ فإذا وجدت أحدهم بغي: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ﴾

نجد أن في أول مرة قال الله ﷻ : ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ﴾ فقط، ولم يقل ﴿بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ﴾ وفي المرة الثانية قال ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ﴾هل في الأولى الإصلاح ليس بالعدل!!!

بالطبع لا ... هو أيضا بالعدل؛ لكن ذُكرت في الثانية لأن كَون فئة بغت، ثم وقع قتال، ثم يصطلحوا بعد ماوقع قتال وبغي، فتكون عوامل العدل هنا أصعب؛ فبالتأكيد مظان عدم تطبيق العدل والقسط أكبر .

وكما قلنا القاعدة أن القرآن مبني على الإيجاز؛فعندما تضاف كلمة، لابد أن لها دلالة»»»» أن الموطن هذا من مواطن مظان عدم استطاعة تطبيق العدل والقسط بينهما.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

ثم تأتي القاعدة العامة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وكأن هذا هو محور السورة؛ أن الرابط بين الحجرات للمؤمنين أنهم كلهم ماذا؟؟؟؟ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ العلاقة التي تربطنا كلنا، هي علاقة الأخوة، أي هي روابط قوية؛ روابط الأخوة.

كما قال الرسول ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد" [30]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ تأتي معناها حسب السياق فهنا ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي في تعاملكم مع إخوانكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن سبب عموم الرحمة، هو التخلق بهذا الخلق، فلو وجد المجتمع يتخلق بهذا الخلق، فاعلم أن الرحمة تسود هذا المجتمع.

كما قال النبي ﷺ : "ما كان الرفق في شئ إلا زانه" [31]

وحديث النبي ﷺ : "وإذا أراد الله بأهل بيت خيرا دلهم على الرفق"[32]، إذا وجدت بيتا يترافق تجد الرحمة تنزل عليه، تجد كذلك مجتمع فيه رفق، وأُخوة بين المؤمنين بعضهم البعض، إعلم أن الرحمة تنزل عليهم.

---

30 [عن [النعمان بن بشير]: مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحمى والسهرِ
ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢٨ • صحيح • أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) باختلاف يسير

31 [عن عائشة و أنس بن مالك:] ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلّا زانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلّا شانَه
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٥٦٥٤ • صحيح

32 [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال لها: يا عائشةُ، ارْفُقي؛ فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بأهلِبيتٍ خَيرًا، دَلَّهم على بابِ الرِّفقِ.
شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخريج المسند ٢٤٧٣٤ • إسناده صحيح

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

هنا الخطاب للمؤمنين، نهى عن ثلاث صفات: السخرية، اللمز، التنابز بالالقاب،

الآية التي تليها، نهى عن ثلاث صفات آخرين: سوء الظن، التجسس، الغيبة.

الثلاث الأُوَل ثلاثة ظاهرين؛ أخاك يراك »»»

وأنت تسخر منه، وأنت تلمزه، وأنت تناديه وتتنابز معه بالألقاب،

أما الثلاث صفات في الآية التي تليها، ثلاث صفات سرية، هو لا يراك »»»

وأنت تسيء الظن،وأنت تتجسس عليه، وأنت تغتابه.

ثلاثة أخلاق سيئة مع المؤمن الحاضر، وثلاثة مع المؤمن الغائب.

☚ الثلاثة مع المؤمن الحاضر:

1. الخلق الأول: السخرية

في وجود مشاكل، ممكن أن أتشاجر معك ، ثم نتصافى، لكن هناك أشياء تسبب جُرح غائر، يصعب أنه يطيب مرة آخرى، منها السخرية»»» أن أشعر أنك تهزأ مني، أنك تنتقص مني...

الإنسان له كرامة، وأصلا كثير من أفعال الناس، هو يبحث فيها عن مكانة له بين الناس؛ لذلك يُقال أن من أشد موانع الإنسان عن المعاصي والفواحش»»» أخلاق المجتمع؛ أنه يخاف أن ينبذه من حوله، الانسان مفطور على هذا، وهذا من رحمة الله ، أن الإنسان يخاف أن تشير الناس إليه بالسوء، يخاف على سمعته، هذه رحمة بالإنسان، تمنعه عن كثير من المعاصي، فإذا أهين تُكسر عنده هذه الفطرة ، ممكن أن يتجرأ على فعل أو قول أي شئ.

إذاً في المجتمع الذي تنتشر فيه السخرية، ولا أحد فيه يحترم أحد، يتجرأ الناس بعضهم على بعض، فتنتشر الفواحش والمعاصي .

وقوله تعالى ﴿ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ كأن فيها إشارة لمسألة القومية، أن قوم ينتمون لنسب كذا يسخرون من قوم ينتسبون لنسب كذا، وكأن التفاضل أصبح بالأنساب كما سيأتي في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾ أي أن مسألة التفاضل ليست مسألة قبائل، أو شعوب وإنما بالتقوى.

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾ غالب الأوامر في القرآن، تأتي خاصة بالرجال من باب التغليب، ولكنها تتضمن النساء، فعندما يُخص النساء بالذكر في أمر مع الرجال، هذا دليل على أنه منتشر بكثرة بين النساء.

مسألة الاستهزاء بين النساء »»» انظري فلانة ماذا فعلت!!ماذا ترتدي!!!...

والمقارنات انظري ماذا اشترى لي... وأنت ليس عندك...!!!وأنا عندي، وأنت ليس عندك!!!

اقتتال ومشاحنات في البيوت بسبب هذه الكلمات.

2. الخلق الثاني: اللمز

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ : اللمز: العيب، ستجدونه في شرح سورة الهمزة، الفرق بين الهمز واللمز فيه عدة أقوال.

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾: أي ولا يلمز بعضكم بعضا، أي لا يعب بعضكم بعضا...

لماذا قال "أنفسكم"؟ لماذا لم يقل بعضكم البعض؟

لأن المؤمنين كالجسد الواحد، وهذه حقيقة، أن الذي يستهزئ من أخوه، هو يستهزئ من نفسه فعلا...

قال النبي ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد"

إذاً أنا عندما أستهزئ بأخي، كأني أستهزئ بذراعي، ألسنا جسد واحد!!! كأني أستهزئ برجلي، كأني أعمل ثغرة في صف المسلمين، و هذا الخلل في الصف سيعود على المجتمع كله، فأنا عندما افتح ثغرة في الصف المسلم سأتضرر...كما قال الرسول ﷺ "من قطع صفاً قطعه الله"

إن الله ﷻ قد يُطلعك على معصية أخيك، فلا تناديه بهذه المعصية، تذكر أنك أيضا تقع في المعاصي ولكن الله قد سترك ، [فلا تناديه ب_ يا من فعلت كذا البارحة_] !

فكوني لا أتصيد معصية أخي»»» هذا خلق رائع

وخير منه: أن أسير خلفه أسانده وأعضده، وما فقده أحفظه له، والثغرة التي أراها أسدها.

كما قال النبي ﷺ :"يحوطه من وراءه ويكفُ عليه ضيعته"[33] .. فالمؤمن مرآة أخيه، أي: يرى فيه محاسنه ومعايبه لكي ينصلح . لا أن أتصيد أخطاءه فأطعنه من الخلف!!!

لأجل هذاطلب سيدنا موسى عليه السلام من الله ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي ۝اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ [طه 29 :31] شد الأزر معناها (يقويني)،

الأصل اللغوي»»» يقال الأزر: هو (عمود القوة) –الذي هو في الإنسان الظهر..

فمعنى﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾كأن شخصاً يدفع شيئا ثقيلا، فيحتاج لأحدٍ من خلفه يسنده ويقويه، حتى يستطيع أن يدفع هذا الشيئ الثقيل ، فأخيه من خلفه يُمسك بظهره ؛ فيزيده قوة إلى قوته.

فأنا أسلم لك ظهري وأنا مطمئن أنك ستدفعني للأمام.

أما أن تأتي فتطعنني في ظهري وقد أسلمته لك !!! لم أكن أتوقع منك هذا!

قد ترى أنتَ شيئا وقع مني،أو خطأً أنا وقعتُ فيه، فلاتطير به وتسارع بنقله، وتتنابز به، وترميني به أمام الناس،»»»لم أكن انتظر منك هذا»»»

[33] [عن أبي هريرة:] المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح أبي داود ٤٩١٨ • حسن • أخرجه أبو داود (٤٩١٨) واللفظ له، والبزار (٨١٠٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٩٢)

3. الخلق الثالث ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ﴾

فهذه ثلاث صفات[لا يسخر؛ ولا تلمزوا ؛ولا تنابزوا]

وصفهن ربنا سبحانه وتعالى فقال:﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ﴾

- أي: كما أن الشرع سمى شارب الخمر فاسقاً –كذلك– سمى فاعل هذه الأخلاق فاسق .
- وفي أشهر الأقوال في تفسير قوله تعالى :" بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان" أي: بئس الذي يفعل هذه الصفات، فيتحول من اسم مؤمن إلى اسم فاسق، أي أن فاعل هذه الصفات، المتخلق بها، المداوم عليها، ينتقل من((وصف الإيمان إلى وصف الفسق))
- والقول الثالث في معنى ﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ﴾ أي: هو التنابز ، يعني لا تناديه بـ (يافاسق أو يا كافر)؛ بما كان عليه في الجاهلية

وهذا كثيراً جداً ما يحدث، نجد شخصاً يلتزم ويدعو الناس؛ فنرى مَن يقول له ساخراً او مستهزءاً: هل نسيت نفسك؟! هل نسيت ما كنت عليه ؟! أنت كنت تفعل كذا وكذا وكذا.!

مثل هذا مَنهيٌ عنه؛ لا تُحدثه بعمله قبل التوبة، ولا تُعَيِّرَه به..

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فهذه الثلاث مناهي تخص(المؤمن الحاضر)

ثم تنتقل الآيات لثلاث مناهي تخص (المؤمن الغائب)... مرتبطين ببعضهم ومترتبين على بعض ، فنجد كل منهم تقود للأخرى:

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾،

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾،

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

فاقتحامك لحجرة أخيك كما شرحنا في البداية :

- يكون لأنك تظن فيه ظن سوء(هو أكيد يفعل كذا..!!) ،
- فتأتي لتتحقق من هذا الظن»»» فإذا بك تتجسس عليه ،
- فتعرف عنه أشياءاً سيئة»»» فتغتابه.

فهي سلسلة مرتبطة ببعضها ، والشرع أتى لك من البداية وقال لك: اقطع هذه السلسلة ولا تمسك بطرفها؛ لأنك لو أسأت الظن، ستتجسس، وستتكلم عنه بما هو فيه الذي هو (الغيبة) فأنت لن تفتري عليه كذباً.

لأن الغيبة كما قال رسول اللهﷺ : "الغيبة ذكرك أخاك بما يكره"[34] فالصحابي لما سمع هذا تعجب وقال: فإن كان فيه!!!

(أي أنا لا أكذب؛ أنا أقول كلام حقيقي،هو فعلاً فيه كذا أو كذا ،هو حقيقةً هكذا)

قال النبيﷺ :" فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته"

إذاً لاتمسك بهذه السلسلة من بدايتها (سوء الظن~ فالتجسس~ فالغيبة) فتقودك إلى نهايتها!!!

لأجل هذا قال النبي ﷺ : " إياكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث"[35].

وكذلك في قوله ﷺ: "ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا "...بدأ بالتجسس ثم كل واحدة مترتبة على سابقتها ..كأن الحديث يحكي سورة الحجرات.

وفي نهايته ((الوصية)) : "وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا"

التي هي في سورة الحجرات ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فنجد نفس الترتيب.

أيضا نرى أن الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ جاءت بعد النهي عن الغيبة...

فالمسألة مسألة إيمان القلب وليس فقط إسلام الجوارح !

انظر إلى حديث النبي ﷺ ، البراء بن عازب وأبو برزة الأسلمي قالا :" خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن، أو قال :في خدورهن، فقال :"يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين"[36]

(نفس التعبير القرآني:﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ﴾)

"ولا تتبعوا عوراتهم"(التجسس) ، فإنه من يتتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته،(الجزاء من جنس العمل) ومن يتتبع الله عورته، يفضحه في جوف بيته".

فأغلق الباب من البداية، ولا تشغل خواطرك مع أخيك , ويكفيك في إشغال الخاطر التفكر والتدبر في الآيات الكونية المرئية والآيات المتلوة.

وهنا حديث– وإن كان ضعفه بعض العلماء– قال النبي ﷺ يقول:" ثلاثة لازمات لأمتي الحسد وسوء الظن والطيرة"، فقال الصحابي:" يا رسول الله فماذا أفعل؟(ما المخرج ؟) قال: "إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا تطيرت فامض، وإذا ظننت فلا تحقق"[37]

---

34 [عن أبي هريرة:] أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ قيلَ أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ. - مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٥٨٩ • [صحيح]

35 ١- [عن أبي هريرة:] إيَّاكم والظَّنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تجسَّسوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تنافَسُوا، ولاتَحاسَدُوا، وَلا تَباغَضُوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا، وَلايَخْطُبُ الرَّجُلُ على خِطْبَةِ أخيهِ حتّى ينكِحَ أَوْ يترُكَ- الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٢٦٧٩ • صحيح

36 [عن أبي برزة الأسلمي:] - العراقي (٨٠٦ هـ)، تخريج الإحياء ١٧٥/٣ • إسناده جيد •

فلو ظننت لا تقل: أتأكد أولاً؛ لعله يكون حقيقي!! فتقع في التجسس ثم تدخل فيما بعدها وهي الغيبة.

وقد وصف الله تعالى الغيبة؛ بمشهد بغيض ؛ وهو مشهد إنسان جائع وذهب ليأكل فوجد لحما متعفنا لجثةِ مَيت ،فلما كشف عن وجهه وجده أخاه...

هذا المشهد البغيض، هو حال الإنسان المغتاب..

وهذا الوصف فيه ما فيه من التكريه والتبغيض في الغيبة، بحيث لواستحضره المسلم حين يغتاب ،أن فمه يقطر بدم أخيه بعد ما أكل لحمه ميتا، لكان كافياً عن ردعه عن الغيبة.

فالإنسان الذي يستلذ بالغيبة هو إنسان قد انتكست فطرته،عياذا بالله.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

"تواب" صيغة مبالغة لأننا كثيراً مانَسقُط في الغيبة ﴿ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

تأتي بعد ذلك القاعدة العامة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾

القضية ليست بقيمة الحُجرة التي تجلس فيها ولكن بتقواك.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾ هذه لا يعرفها غير ربنا –سبحانه وتعالى–. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾:نجد هنا صفتا :العلم والخبرة... هو سبحانه ﴿ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ بالتفاضل بين الناس.

نختم بقوله تعالى:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾

نرى هنا الحِفاظ على الإيمان غضاً طرياً كما هو، ويأبى القرآن أي تشويه لمعاني الإيمان العالية مهما ادعاها مدعٍ ،فينزل القرآن ليضع معالم واضحة لا تقبل التمييع في مسائل الإيمان.

لما ربنا –سبحانه وتعالى– يقول عن القرآن﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطارق : 13] يعني (فواصل).

ثم نجد مَن يريد أن يرفع هذه الفواصل!!! ، ويُدخل الأشياء في بعضها، (كما نجد الإعلام حاليا يريد محو الفواصل)

ومن روعة القرآن أنه سمى صاحب الأخلاق السيئة (فاسق)»»»إنه وصف قرآني .

كذلك سمى رافض تطبيق الشرع»»» (منافق).

---

37 [عن حارثة بن النعمان:] ثلاثٌ لازماتٌ أمَّتي الطِّيَرةُ والحسدُ وسوءُ الظَّنِّ فقال رجلٌ ما يُذهِبُهنَّ يا رسولَاللهِ ممَّن هنَّ فيه قال إذا حسَدْتَ فاستغفِرِ اللهَ وإذا ظنَنْتَ فلا تتحقَّقْ وإذا تطيَّرْتَ فامضِ - الهيثمي (٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ٨١/٨ • فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : 61] إذاً من (يَصُد ويَرفض تطبيق الشرع) قد أسماه القرآن (منافق)؛ فهذه التسمية ليست من عندنا، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء : 88]

إذاً لدينا تسميات ومصطلحات قرآنية، فالقرآن يأبى تغيير هذه المصطلحات.

حتى مع الخيرين((أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما)) ينزل القرآن بالأمر بعدم رفع أصواتهما أمام النبيﷺ.

فليس لأنهما(أبا بكر وعمر)–وهما من هما– لا يعاتبهم الله في قرآن ينزل فيهما أو مثلا ينتظر القرآن حتى يأتي نفس هذا الفعل من صحابيين آخرين أقل منهما في المنزلة !!!

لا ...هذا لم يحدث ..

هذا من عظمة القرآن وعظمة المجتمع المسلم ، فالمجتمع المسلم لا يخاف أن تهتز صورته؛ فهو ينتقد نفسه من أجل البناء، ومعلوم أن القرآن يُتلى على العالم، وعلى اليهود، وعلى النصارى، وعلى المنافقين، وعلى المشركين.

فمن الممكن أن يقول أحدهم :انظر ما قاله القرآن في محمد ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [عبس : 1]

انظر ماذا فعل النبي!!!...

لا... نحن لا نخاف أحداً ،بل ننقد بعضنا بعضا، وننقد أنفسنا من أجل البناء.

فالقرآن يأبى أي تغيير للخريطة الأخلاقية في الإسلام فينزل القرآن بـ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [عبس : 1].

ولو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها !

و كذلك آية الأحزاب ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ﴾ [الأحزاب : 37] وغيرها ...

فهذا أوضح دليل على أن القرآن من عند ربنا- سبحانه وتعالى- أنزله لبناء أمة ؛ أمة الإسلام.

فلن يتغاضي عن أفعال بعض الناس –أياً كانت مكانتهم – لأن هذا سيُحدث هدماً في الدين!

فيبدأ الدين بالاندثار والتحريف بسبب مثل هذا التغاضي!

- كقول أحدهم: أن الولاء والبراء لا يجب أن يكون واضحا بهذا الشكل!!!
- و قول آخر: لا يجب أن تقول للنصارى في وجههم أنه يلزمهم دفع جزية!!!

ثم ماذا بعد؟!!! كيف سيصلهم ؛ إن لم يقال في وجهه؟

معنى هذا أن الدين سيندثر شيئا فشيئا ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ﴾ [المائدة : 67]

إذاً القضية خطيرة!!

فالقرآن ينزل من أجل كلمة قالتها الأعراب ، هم أسلموا، ولكنهم يمنون بإسلامهم، وما زال الإيمان لم يدخل قلوبهم بعد.

في بعض الروايات أن بني أسد قالوا للرسول -ﷺ : (نحن أسلمنا دون أن نقاتلك) أي أننا أحسن من غيرنا كثيرا!!!؛ يمنون بإسلامهم دون قتال ويقولون إنا آمنا!!!

فنزل القرآن﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ﴾

ولاحظ جمال الأسلوب القرآني؛ لا ينهى عن كلمة حسنةأبدا، لم يقل لهم -لاتقولوا آمنا- بل قال لهم ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾ نفى الإيمان ولم ينفي القول.

فالسورة كلها تقول لك »»« انتبه لكلماتك!

والقرآن قدوة لك في أقوالك؛ لا ينهى عن كلمة طيبة أبداً.

القرآن يبصرهم بحقيقتهم ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فالإسلام أفعال جوارح ظاهرة فيمكن أن أحكم عليك بها ، أما قلبك! مازلت»»« ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ﴾

هذه أخطر عوامل التغيير الأخلاقي، أن يتغير القلب كما قلنا في البداية ...

هناك أفكار كثيرة لربط هذه الآيات بما قبلها...

منها أن وسيلة تحصيل الاخلاق السابقة هو »»« دخول الإيمان القلب.

فالسورة تتكلم عن العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والإيمان.

ثم تأتي هنا لتخبرنا من هم المؤمنون؟

كماجاء في سورة الأنفال؛ في بداية سورة الأنفال قال تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : 4]، وفي آخرها ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال :74] فالآيات في أول سورة الأنفال تكلمت عن: صفات المؤمنين ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال : 2]

إيمانيات ومعاني ومشاعر، وفي نفس الوقت تكلمت عن الجهاد والغنائم والطاعة والولاء والبراء، هؤلاء المؤمنون حقا. فالدين نسيج واحد.

ومعنا في سورة الحجرات كما تناولت الأخلاق وعلاقتها بالإيمان؛ وكذلك علاقة الإخوة والأخلاق وكيف أتعامل مع إخواني ...

فكذلك توضح ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ التراخي في لفظ " ثُمَّ " ، تنبهك أن عليك بذل مجهود لتصل مرحلة ﴿ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾

تماماكصاحب الجبة الحديدية –الذي ضرب النبي ﷺ به مثلا–، فحتى يفك الجبة ، ظل ينفق وينفق وينفق، حتى أمكنه أن يوسعها، ويتحرك كما يشاء، فأصبح عندما يريد أن يخرج مالا من جيبه لا يظل 3 أيام يفكر: هل أنفق أم لا؟ هل يستحق؟ ربما هكذا أنا أساعده في أن يبقى سيئا!!!، ويفكر أسبوع، 3 شهور، حتى يقرر، وربما يؤجلها لرمضان، وينتظر...

فلكي تصل إلى مرحلة ﴿ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾، يجب أن تكون خطواتك في الدين دون شك،دون ريبة ((ويا تُرى هذا هو الدين أم لا؟ هل أنا استعجلت؟ هل أنا متهور ؟ هل أنا على خطأ؟ هل أنا سفيه؟))

ولاحظ: قد يصفك الناس بالسفه؛ ولكن يأتي القرآن يقول لك ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ ﴾ [البقرة : 130]، يعني السفيه حقيقة من كان عمله مخالف لعمل سيدنا إبراهيم.

القرآن هو المقياس،ليس مقاييس الناس

بعض الناس لجهله ولسفاهته قد ينظر إلى أفعال خليل الله على أنها سفه!!!

ولكنه في الحقيقة هو السفيه ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ ﴾ [البقرة : 13] هم أحيانا ينظرون لتطبيق الدين على أنه سفه، وهذا قد يجعلك ترتاب في أفعالك، يجعلك تفكر هل أنا مخطيء أم مصيب؟

الناس قد تشير إليك قائلة »»« هذا سفيه.

كلمة (سفه) في سورة البقرة تتكرر كثيرا ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة : 142]، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ ﴾ [البقرة : 130]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة : 13]، لأن سورة البقرة تناولت أحكام تشريعية كثيرة...

فهم سيقولون عنك سفيه عندما تلتزم بهذه الأحكام،

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة : 13]، بل الراغب عن ملة إبراهيم هو السفيه هذا هو مقياس القرآن .

من أهم العوامل التي قد تجعلك ترتاب: ليس شكك في الجزاء؛ وإنما ضغط المجتمع عليك!

وهنا السورة تتكلم عن مجتمع، مجتمع مدني يُبنى: قوم رجال ونساء وشعوب وقبائل؛ مجتمع يتم بناؤه، فضغطه عليك يجعلك أحيانا تفكر وتشك: هل استعجلت؟ هل ...؟ هل ...؟ فحتى تصل لمرحلة: الرجل الذى فك الجبة، تصل لمرحلة أن كل فعل تفعله لا تشعر أنك تفعل شيئا صعبا،

حين يُنادى: هيا للجهاد فتقوم مسرعا دون توان ،تترك حياتك تترك بيتك ...

فيصبح الأمر كما قال الرسول ﷺ في صحيح مسلم: "كلما سمع هيعة أو فزعة((طار)) عليه يبتغي الموت والقتل مظانه"[38]
أي يظل يبحث أين أموت؟ أين أموت؟ هذه؟ لا... هكذا لن أموت! هذه؟ لا، هذه سهلة...
أنا أريد أن أكون رجلا صنديدا؛قد تحرر، وفك قيوده...

وهذه أحد معاني (محررا) في سورة آل عمران[39] عندما طلبت امرأة عمران ولدا محررا»»» الذي فك الجبة الحديدية التي كانت تعيقه ، أصبح حرا يخرج نقودا، يفعل الخير، يصلي ركعتين في ساعتين، يجلس جلسة ضحى ، لم يعد لديه قيود، أصبح إنسانا حرا. هذا هو الذى يصل إلى مرحلة ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾.
بعض الناس يقصرها على أنه لا يشك في الدار الأخرة؛ لا! الموضوع أكبر وأعلى من هذا، ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران : 163] ...الذي فك قيوده وانطلق ولا يرتاب في أي خطوة يقدمها لدين الله»»» هؤلاء هم المؤمنون .

عندها يعلم بنو أسد قدرهم الحقيقي وأنهم ليسوا مؤمنين، ولايَدَّعوا إيمان ولا إسلام .. يصمتون!

فالصفة الأولى للمؤمنين هنا :

1. ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ... تنبه: ((إنما)) أداة حصر!!!
2. والثانية ﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ﴾ ؛ إيمان بدون جهاد إيمان ناقص!

قد يقول قائل: ليس هناك جهاد اليوم؟؟!!

نرد بقول النبي ﷺ : " مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ على شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ"[40] ، هذا الحديث رائع ويحتاج إلى درس وحده.
فهذا عنده قلق يفكر في الجهاد يريد أن يفعل شيئا لدين الله أي شيء يخدم به دين الله ...

---

[38] [عن أبي هريرة:] مِنْ خَيْرِ مَعاشِ النّاسِ لهمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ، يَطِيرُ على مَتْنِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً، أوْ فَزْعَةً طارَ عليه، يَبْتَغِي القَتْلَ والْمَوْتَ مَظانَّهُ، أوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هذِهِ الشَّعَفِ، أوْ بَطْنِ وادٍ مِن هذِهِ الأوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتِي الزَّكاةَ، ويَعْبُدُ رَبَّهُ حتّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، ليسَ مِنَ النّاسِ إلّا في خَيْرٍ. - مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٨٨٩ • [صحيح]

[39] [آل عمران : 35]

[40] [عن أبي هريرة:] - مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٩١٠ • [صحيح]

فكل طاعة تفعلها تمحو جزءا من شعب النفاق من قلبك. الحج يزيل جزءا، والصيام يزيل جزءا، والصلاة تزيل جزءا، الزكاة تزيل جزءا، الجهاد يزيل جزءا من النفاق. فطالما لم تفعلها ولم تفكر فيها، إذن مازال إيمانك ناقصا ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

نكتفي بهذا القدر من السورة.

نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ويفهمناكتابه..

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

جزاكم الله خيرا .